فلا حيلة لي بدفعه ولا قدرة لي على منعه وان لم يكن قدر الله على بشيء فلو اجتمع امير المومنين
وسائر من على وجه الارض على ان يضروني بشي لم يستطيعوا ذلك ومالي ذنب فاخاف وانما
هذا واش وشا عند امير المومنين بهتانا وامير المومنين كامل العقل فاذا اطلع على برائتي فهو
لا يستحل مضرتي وعلى عهد الله لا كلمتك بعد هذا الجواب ثم اعرض عني واقبل على التلاوة وما
زال كذلك حتى وافينا الكوفة بكرة اليوم الثالث عشر واذا النجب قد استقبلنا من عند
امير المومنين تكشف عن اخبارنا فلما دخلت على الرشيد قبلت الارض فقال لي هات يا منارة
اخبرني من يوم خروجك عني والى يوم قدومك فابتدأت احدثه بامورى كلها مفصلة
والغضب يظهر في وجهه فلما انتهيت الى جمعه اولاده وغلمانه وخواصه وضيق الدار بهم
وتقييدي لاصحابي فلم اجد احدا منهم اسود وجهه فلما ذكرت عينه عليهم بتلك الاعمال
المختلطة تهلل وجهه ولما قلت انه مد رجليه اسفر واستبشر فلما اخبرته بجدي معه
في ضياعه وبساتينه وما قلت له وما قال لي قال هذا رجل محسود على نعمته ومكذوب
عليه وقد ازعجناه وارعبناه وشوشنا عليه وعلى اولاده واهله اخرج اليه وانزع
قيوده وادخله علي مكرما ففعلت فلما دخل قبل الارض فرحب به امير المومنين واجلسه
واعتذر اليه فتكلم بكلام فصيح فقال له امير المومنين سل حوائجك قال سرعة رجوعي الى بلدي
وجمع شملي باهلي وولدي قال هذا كائن فسل غيره قال عدل امير المومنين في عماله ما
احوجني الى سوال **قال** فاخلع عليه امير المومنين ثم قال يا منارة اركب الساعة معه حتى
ترده الى المكان الذي اخذته منه وهو في حفظ الله وودايعه ورعايته ولا تقطع اخبارك
عنا وحوائجك فلا يتوكل المتوكلون الا على الله تعالى فانه من توكل عليه كفاه ومن دعاه
لباه ومن ساله اعطاه ما تمناه **وروى** ان هذه الكلمات وجدها كعب الاحبار مكتوبة
في التوراة فكتبها يا ابن ادم لا تخافن من ذي سلطان ما دام سلطاني باقيا وسلطاني
لا ينفد ابدا يا ابن ادم لا تانس لغيري وانا لك فان طلبتني وجدتني وان انست لغيري
فتك وفاتك الخير كله يا ابن ادم خلقتك لعبادتي فلا تلعب وقسمت رزقك فلا
تتعب وفي اكثر منه فلا تطمع ومن اقل منه فلا تجزع فان انت رضيت بما قسمته لك اريحت
قلبك وبدنك وكنت عندي محمودا وان لم ترض بما قسمته لك وعزتي وجلالي لاسلطن
عليك الدنيا تركض فيها كركض الوحش في البرية ولا ينالك منها الا ما قسمته لك وكنت
عندي مذموما يا ابن ادم خلقت السموات السبع والارضين السبع ولم اعي بخلقهن ايعييني
رغيف اسوقه لك من غير تعب منك يا ابن ادم انا لك محب فبحقي عليك كن لي محبا يا ابن ادم
لا تطالبني برزق غد كما لا اطالبك بعمل غد فاني لم انس من عصاني فكيف من اطاعني وانا
وانا على كل شيء قدير وبكل شيء محيط **قال الشاعر**

فا

فما ثم الا الله في كل حالة ... فلا تتكل يوما على غير لطفه
فكم حالة تاتي ويكرهها الفتى ... وخيرته فيها على رغم انفه

وللمولف رحمه الله

توكل على الرحمن في الامر كله ... فما خاب عبدا من عليه توكلا
وكن واثقا بالله واصبر لحكمه ... تنال الذي ترجوه منه تفضلا

الفصل الثاني في القناعة

والرضى بما قسم الله تعالى جاء في تفسير قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن فلنحيينه
حيوة طيبة ان المراد بها القناعة وقال صلى الله عليه وسلم القناعة مال لا ينفد وقيل يا
رسول الله ما الغنى قال الاياس عما في ايدي الناس واياكم والطمع فانه الفقر الحاضر
وكان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه من القناعة بالجانب الاوفر وكان يشتهي الشيء
فيدافعه سنة وقال الكندي رحمه الله العبد حر ما قنع والحر عبد ما طمع وقال بشر
بن الحارث رحمه الله خرج فتى في طلب الرزق فبينما هو يمشي فاعيى فاوى الى خراب يستريح فيه
فبينما هو يدير بصره فيه اذ وقعت عيناه على اسطر مكتوبة فتاملها واذا فيها مكتوب

شعر

اني رايتك قاعدا مستقبلي ... فعلمت انك للهموم قرين
هون عليك وكن بربك واثقا ... فاخو التوكل شانه التهوين
طرح الاذى عن نفسه في رزقه ... لما تيقن انه مضمون

قال الجاحظ رحمه الله انما خالف الله تعالى بين طبايع العباد ليوفق بينهم في مصالحهم
ولولا ذلك لاختاروا كلهم الملك والسياسة والتجارة والفلاحة وفي ذلك بطلان المصلحة
وذهاب المعايش فكل صنف من الناس مزين لهم ما هم فيه فالحايك اذا اراد من صاحبه
تقصيرا او خلفا قال ويلك يا حجام والحجام اذا راى مثل ذلك من صاحبه قال يا حايك
فجعل الله الخلاف سببا للايتلاف فسبحانه من مدبر قادر حكيم الا ترى الى البدوي في
بيته قطعة كساء مخطط بعظام الجيف كلبه معه في بيته لباسه شملة من صوف او شعر
ودواؤه بعر الابل وطيبه القطران وبعر الظبا وحلي زوجته الودع وثماره المقل
وصيده اليربوع وهو في مغارة لا يسمع فيها الا صوت بومة وعوا ذيب وهو قانع بذلك
مفتخر به **وقال** سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه يا بني اذا طلبت الغنا فاطلبه بالقناعة
فانها مال لا ينفد واياك والطمع فانه فقر حاضر وعليك بالياس فانك لم تياس من شيء
الا اغناك الله عنه واصابت داود الطائي ضايقة كبيرة فجاءه حماد بن ابي حنيفة رضي الله
عنه باربعماية درهم من تركة ابيه وقال هي من مال رجل ما اقدم عليه احد في زهده وورعه

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)